

أدب الطفل سبيلا لتنمية المهارات اللغوية

أ.د. عبد الملك بومنجل
مخبر المصطلحات اللغوية والبلاغية في التراث العربي
جامعة سطيف 2/الجزائر

غيرُ خافٍ ما آل إليه حال العربية اليوم على ألسنة أبنائها من تدهور في الأداء، وتهلّهل في البناء، وفساد في العبارة، وتعثّر في الصياغة، واغتراب عن الفصاحة، وتفريط في الأصالة، وعجز عن مواكبة العصر في ترجمة المصطلح وإشاعة الاستعمال؛ فقد لبثت مهارات استعمال العربية تتقهقر لدى أبنائها عاما بعد عام، وتنحصر حقلًا بعد حقل وفئةً بعد فئة، إلى أن غدا من الغريب النادر أن تجد عربيا يتقن هذه المهارات؛ قراءةً وحديثًا وكتابةً؛ إتقانًا عاليًا لا يخالطه تعثّرٌ أو تلعثم، أو ضحالةٌ رصيد أو ركاكةٌ عبارة، أو غربةٌ مصطلح أو تشوّهٌ أسلوبٍ أو وقوعٌ في شائع اللحن. وصار من الشائع المؤلف أن تجد المتخصصين في اللغة العربية وآدابها، الحائزين على درجات عالية في علومها، يتعثرون في الحديث إذا حدّثوا، ويخطئون في الفهم إذا قرؤوا، ويرتكبون الأخطاء اللغوية الشنيعة إذا كتبوا؛ وهم حماةٌ العربية وسادّتها، ومعلّموا الأجيال وقودتها؛ فماذا يُتوقّع من تلاميذهم الذين يأخذون عنهم طرائق الأداء وأساليب العبارة، وماذا يُنتظر من غير المتخصصين في اللغة العربية وآدابها؟!

هو واقعٌ مرٌّ وحالٌ زريّة، ننظر فيه بعين الحسرة والعجز والغيرة، إلى اللغة العربية وهي تتلقى الطعنات بعد الطعنات: يُنتَقَصُ من أطرافها، وتُنْتَهَكُ قواعدها: جرّماتُها، وتُشوّه صورُها وينطفئُ إشراقُها، ويترهّل جسمها وتتغصن ملامحها ويُجرّح كبرياؤها، عاما بعد عام ويوما بعد يوم، في قاعات المحاضرات، ومنابر الوعظ والخطابة، وجلسات الدرس والجدل والمناقشة، ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وفي المقالات والدراسات المنشورة في علوم العربية ذاتها، ناهيك عما يؤلف وينشر في غيرها!

لولا أن الله قد بثّ في الكون أسباب القوة كما بث أسباب الضعف، وأسباب الحياة كما بث أسباب الموت، لسلمنا بالعجز وخمدنا. ولولا أن اليأس ليس من شيم الأحياء والأقوياء والمؤمنين بالله ليئسنا؛ لأننا نرى مجاميع العربية تؤسس، والمؤتمرات الباحثة أزمة العربية تُعقد، والمقترحات والتوصيات تصدر؛ ثم لا نرى خطوةً تتقدم إلا ورأينا معها خطوات تتقهقر، ولا نرى مشكلةً حُلّت إلا رأينا معها مشكلات كثيرةٌ قد جدت وحلت!

من باب الغيرة والأمل والتحدي ندخل هذا البحث الذي يقترح بعض الحلول لأزمة التقهقر الذي أصاب واقع اللغة العربية. ومن باب أدب الطفل نلج أفق الحل الناجح الناجع لمعضلة ضعف المهارات اللغوية لدى أبناء اللغة العربية ومستعمليها من غير أبنائها. ولا نزع أنه حل يسير وممكن في الوقت الراهن، ولا أنه كافٍ لحل المعضلة وتقويم العوج؛ ولكنه الاقتراح وحسب، والجزء من الحل لا أكثر.

تستند فلسفتنا في اقتراح العناية بأدب الطفل سبيلا لتنمية المهارات اللغوية، والارتقاء بحال اللغة العربية، على جملة مبادئ، هي:

- 1- أن اللغة تحيا بالاستعمال، ومهاراتها تُكتسب بالمعايشة، سماعاً وقراءةً وكتابةً، لا بمجرد تعلّم قواعدها مجردة من السياق الوظيفي ومعزولة عن الاستعمال.
- 2- أن الطفولة هي المرحلة المثلى لاكتساب اللغة وتنمية مهاراتها، لما خُصَّ به الأطفال من قدرة على الحفظ، ومرونة في التجاوب، وحيوية في الخيال.
- 3- أنّ تعلّم الصحيح أسهل من تصحيح الفاسد؛ وقد بلغ الفساد بألسنة العرب باختلاف مستوياتهم الثقافية- مبلغا عظيما، ولا أمل في إصلاح فساد شبَّ عليه صاحبه وشاب، وإنما الأمل في تنشئة الأجيال الصاعدة تنشئة سليمة صافية قوية، أساسها إشاعة أدب الطفل في حياة الأطفال، وتهيئة الظروف الكفيلة

بإنجاح دور هذا الأدب في بناء الشخصية اللغوية، بتنشئة الأطفال على سماع العربية الفصيحة، وتحفيظهم نماذجها الراقية، وتعويدهم على القراءة والكتابة وتحبيبهما إليهم، وتنقية مكتبة أدب الأطفال مما يشوبها من الغث والركيك والفساد.

1. الاستعمال سبيل التعلم

السبيل الطبيعية في تعلم اللغة واكتساب مهاراتها هي النقاط أصواتها مُعبَرةً عن دلالاتها في سياق حيٍّ من الاستعمال الوظيفي. إن الأطفال يأخذون عن أمهاتهم وأسرهم ومحيطهم لغة الاستعمال اليومي بغير مكابدة لتعلم قواعدها وحفظ قاموسها. وإن العرب القدامى بلغوا من طلاقة الكلام وبلاغة البيان وفصاحة اللسان المبلغ الذي سجله التاريخ، وهم لا يقرؤون ولا يكتبون ولا يعرفون من قواعد لغتهم غير ما حفظته السليقة وأحاط به الذوق الفطري النقي. وإن القواعد النحوية والعلوم اللغوية ما وُضعت، أول ما وُضعت في تاريخ العربية، إلا من بعد ما انحرف الاستعمال عن نقاوته إلى قدر من الهجنة وعن فصاحته إلى قدر من اللحن؛ قال ابن خلدون: «فلما جاء الإسلام وفاقوا الحجازَ لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول وخالطوا العجمَ تغيّرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمعُ من المخالقات التي للمُستعربين، والسمعُ أبو الملكات اللسانية ففسدت بما ألقى إليها مما يُغايِرُها لجنوحها إليه باعتياد السمع.» (ابن خلدون، 2000م، مقدمة ابن خلدون، ص442).

السمع، إذًا، أبو الملكات اللسانية، وعليه التعويل في تعلم اللغات واكتساب مهاراتها، كما منه الطريق إلى فساد اللغة وانحراف أدائها؛ لذا وجب على أهل التعليم والتربية أن يأخذوا بالقضية من طرفيها: الحرص على تعليم العربية لأبنائها وهي حية تتحرك في كلام يعبر عن مضمون وتجربة وعاطفة وفكرة، والحرص على تنقية الجو يتعلم في الأبناء اللغة من شوائب اللحن والركاكة والفساد.

إن اللغة هي، كما يقول ابن خلدون، ملكةٌ صناعية في اللسان، تتصل بالتركيب لا المفردات، وبإحسان العبارة عن المعاني لا جودة الحفظ لقوانين الإعراب¹؛ لذلك كان أساس تحصيل هذه الملكة إنما هو تكرار سماع تراكيب اللغة وأساليبها حتى تعلق بالطبع وترسخ في الذاكرة. "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودةً فيهم يسمع كلامَ أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنُها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنُها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكةً وصفةً راسخةً ويكون كأحدهم. هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال." (ابن خلدون، 2000م، مقدمة ابن خلدون، ص453).

أسهل الطرق وأكفؤها في اكتساب المهارات اللغوية هو الممارسة الفعلية للغة سماعاً ومحادثة وقراءة وكتابة. هو التمرن على اللغة ذاتها لا العلمُ بكيفيتها. وما ضعفت ملكات العرب اللغوية ضعفاً يتفاقم عاماً بعد عام إلا بسبب اتساع الهوة بين لغة الاستعمال اليومي (اللغة العامية) ولغة الاستعمال الرسمي (اللغة الفصيحة)، ثم انحسار استعمال اللغة الفصيحة على المستوى الرسمي أيضاً، بل وحتى على مستوى التعليم؛ ثم انحسار مستوى (اللغة الفصيحة) في الخطاب الرسمي والإعلامي والتعليمي أيضاً؛ ثم سلوك منهج في تعليم العربية في المدارس يعنى بتحفيظ القواعد لا الترويض على القراءة والتعويد على المطالعة والمحادثة والكتابة. لقد أوشك الطفل العربي أن يشعر، وهو يشرع في تعلم اللغة العربية، أنه يتعلم لغة أجنبية، لا لغته الأصلية القومية الوطنية!

لقد كان ابن خلدون نبّه على أن تحصيل لغة العرب الفصيحة الأصيلة، لمن يروم تحصيلها، "أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومُخاطباتِ فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلماتِ المؤلّدين أيضاً في سائر فنونهم. حتى يتنزّل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلةً من نشأ بينهم ولقّن العبارة عن المقاصد منهم. ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عمّا في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصّل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتها رُسوخاً وقوة. (...). وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المصنوع نظماً ونثراً." (ابن خلدون، 2000م، مقدمة ابن خلدون، 453).

وقد جاءت النظريات المعاصرة في تعليمية اللغة تؤكد هذه الطريقة وتحت عليها؛ وطبق الباحث العربي مصطفى الدنان (طريقة الدكتور عبد الله الدنان في تدريس العربية المعربة للأطفال ونجاحه فيها، الموقع الشبكي: شبكة صوت العربية) إحدى هذه النظريات (نظرية التغطية اللغوي) على أولاده وعلى أطفال الروضة، فجاءت نتائج التجربة باهرة عظيمة، ما يكشف سلامة النظرية التي قال بها ابن خلدون، وفساد الطريقة السائدة في تعليم اللغة بتحفيظ القواعد.

غير أن تطبيق هذه الطريقة (التغطية اللغوي) يحتاج إلى ظروف مثالية وهمّة عالية غير متوفرة في واقعنا العربي. لذلك نزل عن هذه الدرجة إلى درجة تالية هي بمثابة تغطية جزئي، لا يُغطس فيه المتعلم طيلة يومه أو أسبوعه أو عامه في سماع لغة عربية فصيحة؛ وإنما يُغطس ساعاتٍ محدودة، ولكن منتظمة مستمرة، في سماع عربية فصيحة بليغة جميلة ممتعة، أو قراءتها، أو محاولة كتابتها؛ لغةً أدبية راقية صافية مناسبة لعمر الطفل وحاجاته النفسية وطاقاته الخيالية وظروفه العصرية، لغةً نعرفها باختصار بأنها "لغة أدب الطفل".

2. الطفولة: المرحلة المثلى لتعليم اللغة

مما هو معلومٌ شائعٌ علمه أن الطفل الصغير مزوّد بقدره هائلة على الحفظ والتعلم، وأن هذه الطاقة تتدرج في النزول كلما ارتفع العمر. ومما صار معلوماً لدى علماء اللغة النفسانيين أن "الطفل في دماغه قدرة هائلة على اكتساب اللغات، وأن هذه القدرة تمكنه من كشف القواعد اللغوية كسفاً إبداعياً ذاتياً، وتطبيق هذه القواعد ومن ثمّ إتقان لغتين أو ثلاث لغات في آن واحد. [...]". وأن هذه القدرة لاكتساب اللغات تبدأ بالضمور بعد سن السادسة، وتتغير برمجة الدماغ تغييراً بيولوجياً من تعلم اللغات إلى تعلم المعرفة." (طريقة الدكتور عبد الله الدنان في تدريس العربية المعربة للأطفال ونجاحه فيها، الموقع الشبكي: شبكة صوت العربية).

إن هذه الحقيقة التي يكتشفها العلم وتصدقها التجربة، تحقّر العاكفين على شأن التربية اللغوية على أن يضعوا في حساباتهم، ومن ثمّ خطتهم التربوية، أن الطفولة هي المرحلة المثلى لتعليم اللغة، وأن الجهود الكثيرة التي تُبذل في التعليم والتقويم وتعديل المناهج والمقررات، بغير طائل، حريٌّ بها أن يُبذل قليلٌ منها في تحفيز القائمين على تعليم الطفل وتربيته، من الأسرة إلى المدرسة إلى المحيط الثقافي عامة، على أن يُبادروا الطفل منذ سنواته الأولى بإسماعه اللغة العربية الفصيحة الراقية، وتعوّده على حفظ مفرداتها واستيعاب دلالاتها وتخزين تراكيبها وتذوق أساليبها واكتساب مهاراتها، وهيئة كل الشروط الثقافية والمادية والتقنية لذلك، بحيث يتهيأ لكل طفلٍ أن ينال حظاً وافراً من سماع العربية الفصحى وإدراك معانيها وخصائص تركيبها، قبل دخوله المدرسة وبعد الدخول، ويستمر ذلك له عادةً يدمج عليها برغبة ومحبة إلى أن يبلغ مبلغ الرشد اللغوي والعلمي، ويتخذ له في الحياة وجهةً علمية أو عملية سينعم فيها ولا شك بما غنمه من رصيد لغوي وما اكتسبه من مهارة في الفهم أو في الحديث أو في القراءة والكتابة.

لقد نبّه مصطفى الدنان على أنّ تعلمَ الطفلِ اللغةَ بالطريقة الفطرية التلقائية أجدى كثيراً من تعلمها بالطريقة المعرفية الواعية، وسجّل بين الطريقتين فروقاً جديرة بالمراعاة، أهمها:

- أن الأولى تتمّ دون تعب ، بينما الثانية تحتاج إلى جهد كبير.
 - أن الأولى تمتزج فيها اللغة بالعواطف فلا يحسّ المتكلم أنه يعبر عن عواطفه تعبيراً صادقاً إلاّ بها. فهي التي ينفّس بها عن غضبه، ويبثّ فيها لواعج شوقه وحبّه وحنينه. أما اللغة الثانية فتنبقى في المكان الثاني من حيث التعبير العاطفي، وقلّ بل ندرّ من وصل باستخدامها إلى مستوى اللغة الأولى في هذا المجال.
 - أن الأولى يكون فهم العبارات فيها أدقّ وقريباً جداً بل ومتطابقاً مع ما أراده المتكلم أو الكاتب، بينما لا يكون كذلك باللغة الثانية.
 - أن الأولى يكون إتقانها كاملاً بكلّ تفاصيلها (النحوية والصرفية)، بينما يظلّ هناك نقص باللغة الثانية.
 - أن الإحساس بجمال اللغة وبلاغتها وحلاوتها يكون باللغة الأولى تلقائياً ودون الحاجة إلى شرح، بينما يحتاج باللغة الثانية إلى شرح وتعليل يُفقدانه الكثير من قيمته.
 - أن الزمن المخصص لإتقان اللغة بالطريقة الأولى لا يمكن أن يفعل فيه الطفل شيئاً آخر، بينما تعلّم اللغة بالطريقة الثانية يحتاج إلى زمن أطول يمكن الاستفادة منه لتخصيص زمن أطول للموادّ الأخرى.
 - أن الأولى تمكّن الطفل من اكتساب أكثر من لغة في آن واحد دون إرهاق، بينما لا يتمكّن الطالب بعد السادسة من تعلّم أكثر من لغة في آن واحد. (الموقع الشّابكي: شبكة صوت العربية، 2008م، طريقة الدكتور عبد الله الدنان في تدريس العربية المعربة للأطفال ونجاحه فيها).
- وإذا كان الدنان قد نبه على ذلك قصد الإقناع بطريقته القائمة على إسماع الطفل العربية الفصحى منذ ولادته، أو تغطيسه فيها طويلاً في روضات الأطفال وفي المرحلة الأولى من دخوله المدرسة قبل ضمور طاقته، فإن تنويهنا بهذه الحقيقة هو لأجل هدفٍ أقلّ من ذلك تكلفه، وهو إشاعة العربية الفصحى في حياة الطفل، بالإكثار من إسماعها إياه في أعمال أدبية جميلة راقية، خفيفة ممتعة، تتسلل إلى عقله كما تتسلل إلى قلبه، وتتشكّل في وعيه كما تتشكل في ذوقه وشعوره، وتفعل أحسن الفعل في بناء شخصيته اللغوية مثلما تفعل فعلها الطيب في بناء شخصيته الإنسانية.
- والقصد بذلك هو تفعيل دور أدب الطفل في تنمية المهارات اللغوية، بتوسيع حضوره في حياة الأطفال، وتنويع أدائه لمهمته التربوية، وتطويع أساليبه لأهداف التربية وظروف العصر.

3. أدب الطفل سبيلاً لتنمية المهارات اللغوية

1.3 مفهوم أدب الطفل

يقصد بأدب الطفل الكلام الجيد الصياغة، الجميل الشكل، المثير المضمون، اللطيف الوقع، الذي يؤلفه كاتبٌ ما بالغا كان أم طفلاً، صوتاً كان أم حرفاً أم صوتاً وصورة، ليتلقاه الطفل سماعاً أو قراءة أو مشاهدة أو تمثيلاً، فينبسط له، ويستمتع به، ويتفاعل معه، ويحصل له من ذلك، إضافةً إلى المتعة النفسية، والتربية الوجدانية، والفائدة العلمية، والخبرة الثقافية، تنميةً للحصيلة اللغوية، وتربيةً للذائقة الأدبية، وإدراكٌ لأسرار التراكيب اللغوية، ودربة على الفهم والقراءة والكتابة والحديث، وتقويةً لمهارات التحدث والتذوق والتفكير والتخييل والتشكيل والاستنتاج.

ويشتمل هذا المفهوم على فنون أدبية كثيرة، وأنواع تأليفية متعددة متنوعة، تختلف من عصر إلى عصر، بحسب تطور الفنون وتقدم الوسائل والوسائط؛ فحكايات الجدات والأمهات أدب. والأناشيد والأغاني الموجهة للأطفال أدب. والأشعار والقصص والروايات والمسرحيات بمختلف أنواعها أدب. وبرامج الرسوم المتحركة أو الأشرطة الوثائقية أو الأفلام أو البرامج الترفيهية، الموجهة للأطفال أدب. وكذلك المقالات والخواطر والكتابات ذات المضامين العلمية والتعليمية، كل ذلك يدخل ضمن أدب الطفل بمفهومه الواسع الذي نتحدث بشأنه في هذا المقال.

إن الطفل المعاصر يعيش في بيوحة من فنون الأدب ووسائل المعرفة اللغوية والتربية الجمالية، بحيث يمكنه، إن وجد العناية الكافية والتوجيه المناسب، أن يعيش ألواناً من التغطيس اللغوي، تكسبه

ثروة لغوية، ومملكة لسانية، وحسا ذوقيا، وتجربة أدبية، وخبرة تعبيرية؛ دون أن يبذل من الجهود ما يرهقه، ومن الأعباء ما يثقل عليه.

2.3. المهارات التي يعلمها أدب الطفل

المهارات اللغوية أربع هي الفهم والحديث والقراءة والكتابة. والمملكة اللغوية تعني الاقتدار على هذه المهارات الأربع، بحيث لا يُعجز المعنى باتقان اللغة فهم عباراتها إذا سمعها، ولا يتعثر لسانه حين يريد الحديث بها، ولا ينغلق دونه شيء من دلالاتها المباشرة وغير المباشرة إذا قرأها في كتاب، ولا يعسر عليه أن يكتب بها في أي موضوع شاء مما يمتلك مادته ويروم بيانه. ويحوجه ذلك إلى ثروة لغوية، ومملكة لسانية، وشجاعة أدبية، وطلاقة بيانية، وخبرة أسلوبية.

واللغة، كما هو معروف، ليست هي المفردات ولا مجرد العلم بدلالاتها وقوانين تركيبها، وإنما هي حاصل دلالات تراكيبها، جارية في الاستعمال، متعلقة بالسياق التداولي الفكري والنفسي والاجتماعي؛ فهي تؤخذ مركبة لا مجزأة، وعاملة لا خاملة، وحية لا ميتة، ويُدرَج في تعلمها موظفة في سياق هو مرجع لدلالاتها، وقرينة في تأويل رموزها وعلاماتها، ومن ثم تحصيل العلم بخصائص تراكيبها ولطائف معانيها. وليس يعني ذلك غير ضرورة أخذها وهي تتحرك في نصوص وأعمال أدبية، يسمعوها الطفل أو يقرأها، فتعلق بذاكرته معاني أصواتها، ثم يرسخ في مخيلته قوالب تركيبها، ثم يحصل بالتقليد والممارسة وتكرار السماع ملكة الحديث بها والتذوق لبلاغتها والمهارة في استعمالها. يقول أحمد المعتوق: "يبدأ الطفل عادةً بالتقاط الكلمات وتعلمها بمعانيها العامة ومفهوماتها الكلية، ثم يتسع تفكيره شيئا فشيئا وتزداد ممارسته للغة وتتطور قدرته على التركيب، كما يتكرر سماعه للألفاظ التي اكتسبها مستعملةً في عبارات وسياقات مختلفة من قبل الكبار فيتجه للتحليل والمقارنة، وتتميز في ذهنه المفهومات العامة عن المفهومات الخاصة." (أحمد محمد المعتوق، 1996م، الحصيلة اللغوية؛ ص50).

منذ السنة الثالثة من عمر الطفل يمكن أن يُشرع في تشغيل أدب الطفل واستثمار طاقاته. إنها الفترة الذهبية لاستثمار قوة ذاكرته، وخلو باله، وانفتاح خياله، وشدة فضوله، وحدة ذكائه. وأدب الطفل المناسب لهذه المرحلة الطفولية الأولى الممتدة إلى السادسة هو الحكايات القصصية البسيطة التي يمكن أن تقصها على الطفل جدته أو والدته أو والده، بلغة يومية منقحة من الدخيل قريبة من الفصحى؛ أو برامج الرسوم المتحركة باللغة الفصحى، حيث الكلمة تواكبها الصورة والحركة. إن الطفل يكون في هذه المرحلة قد كسب رصيذا معتبرا من المفردات اللغوية يفهمها إذا سمعها، ويستعملها في حديثه إذا احتاج إليها؛ فإذا كان أفراد أسرته يتكلمون دارجة قريبة من الفصحى نقية من الدخيل زادت تلك الحكايات والبرامج رصيذا لغويا، وخطت بطاقات البناء في عقله خطوة نحو معرفة ما بكيفية بناء العبارة وحبك القصة، ودرّبه على الاسترسال في الكلام وفق بنية لغوية ومنطقية قريبة من الأحكام. أما إذا كان أفراد الأسرة يتكلمون داخلية مشبعةً بالدخيل - كما هو حاصل في كثير من الأسر العربية خاصة في الجزائر - فإن هذه تُعدّ من المشكلات اللغوية التي تعوق حركة الاكتساب السريع الجيد للمهارات اللغوية بالعربية الفصحى، ومع ذلك فإن حضور هذه الألوان من أدب الطفل في هذه المرحلة يخفف من حدة التباين بين اللغة الدارجة واللغة الفصحى، ويغرس في الطفل مفردات فصيحة موازية لأخرى دارجة تعلمها من أسرته ومحيطه، فتتزاخم اللغتان داخل ذاكرته، فتغلب أكثرهما شيوعا في الاستعمال دون أن تقضي على الأخرى؛ وإذا تذكرنا أن الطفل في هذه المرحلة مزود بقدر عجيبة على تعلم أكثر من لغة واحدة، أدركنا أهمية إسماع الطفل الفصحى بأسلوب أدبي جميل، وشكل قصصي تصويري متنوع؛ إذ يوفر له ذلك حصيلة لغوية كافية للبناء ومواصلة التحصيل في المراحل اللاحقة.

وتحفيظ الطفل قدرا من القرآن الكريم والأدعية النبوية القابلة للاستعمال في حياته اليومية، وكذا بعض الأناشيد والأغاني الفصيحة المناسبة، مفيد جدا في هذه المرحلة والتي بعدها. إنه بمثابة التأسيس

للقوالب الأولى التي تباشر انطباعها في الذوق، واختزانها في الذاكرة، لتصير يوما بعد يوم محلا لتمثل خصائص التراكيب العربية الأصيلة العالية، لاسيما حين تتعزز بالحفظ أو القراءة لنماذج راقية من الأدب العربي شعره ونثره، قديمه وحديثه.

وفي السنة السادسة يكون الطفل قد دخل المدرسة، وأخذ في تعلم القراءة والكتابة. هنا تدخل المدرسة وسيطا فاعلا في تعليمه اللغوي وتربيته الذوقية، وهنا يتعين على أهل الاقتراح والقرار والتخطيط والبرمجة، أن يعوا أن تعليم اللغة ليس بتحفيظ قواعدها، وإنما هو بغرس الإحساس بهذه القواعد وهي تحيا حياتها الوظيفية التعبيرية في الكلام. ما يعني أن المعلم عليه أن يخاطب التلاميذ بالفصحى ما استطاع، وعليه أن يقدم إليه النصوص الأدبية المنتقاة لتكون مسرحة لتعلم اللغة وهي تعمل، ولاكتشاف قواعدها وهي تُنَسَّج. وعليه أن يمرن التلاميذ على القراءة والتعبير، وأن يختار لهم من فنون أدب الطفل شعرا وقصا ومسرحا ومقالة ما يثيري رصيدهم اللغوي، ويشحن حاستهم الذوقية، ويرسخ في ذاكرتهم قوالب الأساليب العربية. وما يُحِبُّ إليهم المطالعة، ويشجعهم على الفهم والتلخيص، ويحفزهم على محاولة الإنشاء والتعبير.

على المعلم أن يُدخِل التلاميذ اللغة من باب الأدب. أن يعلمهم القواعد من داخل النص، وأن يدخلهم عالم النص بكل كياناتهم فيستمتعوا بمضمونه، ويتعلموا اللغة من تمرير تراكيبه وأساليبه على آذانهم وقلوبهم وعقولهم، ويتمرنوا على فهم ما غمض معناه من المفردات اعتمادا على السياق، ومن العبارات ومغزاها اعتمادا على التفكير وإعمال الذهن، ويتدربوا في القسم وفي البيت أيضا على التعبير عما فهموه من النص وعلى تلخيصه وإعادة كتابته من جديد.

وعلى المعلم أن يعمد بين الحين والحين إلى تكليف التلاميذ بحفظ مسرحية مناسبة المضمون والأسلوب ثم تمثيلها في جو من الحماسة والفكاهة، وأن يجتهد في استغلال كل فرصة ومناسبة لإدخال التلاميذ في جو اللغة الحية الأدبية: سماعا ومطالعة وحفظا وتمثيلا وكتابة وحديثا. ولا تنتهي مهمة الأسرة في التربية اللغوية بدخول الطفل المدرسة، بل تستمر في هذه المرحلة وتصير أوجب وأجدي؛ فالأسرة مطالبة، إذا أرادت لطفلها الكفاية اللغوية، بأن تتابع تشكيل شخصيته وتنمية مهاراته؛ بأن تساعد على فهم ما فاته فهمه في المدرسة من معاني المفردات، وأن تتابع إنجازه لواجباته المنزلية كحفظ أنشودة أو تلخيص قصة، وأن تقدم له ما يناسب من الكتب أو المجالات أو البرامج التلفزيونية ذات الصلة بعالمه الطفولي ومرحلته العمرية.

وبغض النظر عن الموضوعات والمضامين والأساليب التي تناسب عقل الطفل وخياله وعاطفته ونفسيته بحسب المرحلة العمرية (ينظر: أحمد نجيب، 1991م، أدب الأطفال علم وفن، ص 37-47. ومحمد حسن بريغش، 1996م، أدب الأطفال أهميته وسماته، ص 179-187)، فإنه من المفيد التنبيه على أن أدب الطفل ينبغي أن يستغرق جزءا معتبرا من أوقات الطفل، وأن يتنوع بين مسموع ومقروء ومنظور، وأن تُنقَى نماذج بحيث تخلو من الركيك الضعيف الذي يمكن أن يعلمه العربية مختلة العبارة، فاسدة التركيب، معتلة الإملاء؛ فيكون ذلك سببا في اعوجاج يصعب تقويمه؛ وبحيث تزهر بأشكال وألوان من الخطوط والصور والمشاهد تجذب الطفل وتستهويه وتحبب إليه المتابعة والقراءة؛ وحيث تكون الموضوعات واقعية كانت أم خيالية، مناسبة لسنه، مثيرة لخياله، ذات صلة بواقعه؛ تُشعره بالمتعة، وتُشبع رغبته في المعرفة، وميله إلى التخيل والمغامرة. وأفضل ما يُستفاد من إشاعة أدب الطفل بهذه الشروط هو إزالة حاجز الخوف بين الطفل وبين الحديث بالفصحى، وإقامة علاقة الأُنس والألفة بينه وبين الكتاب فتصير القراءة له عادة وهواية. وحين يحصل ذلك تكون الطريق قد مهدت تماما لتلقي اللغة العربية صافية جميلة أصيلة منطلقة، ويكون الطفل على الطريق الصحيح لامتلاك ناصية اللغة سماعا وحديثا وقراءة وكتابة.

أما سماعاً فإنه يتعود سهولة الربط بين الأصوات ودلالاتها، والعبارات وأغراضها، كما يمتلك ملكة التدوق للقيم النغمية لهذه الأصوات والتراكيب؛ فينشأ عنده الشعور بالقيمة الإيقاعية للعبارة العربية والتميز بين درجاتها وأنماطها، ويتدرج في ذلك حتى تنمو لديه ملكة التمييز بين الجميل والقبیح، والبليغ وغير البليغ، لاسيما إن هو عود نفسه سماع القرآن الكريم، وصقل طبعه بإيقاعه الساحر وأسلوبه المحكم السلس البديع.

وأما حديثاً فإن ما يجمعه من رصيد المفردات منذ طفولته الأولى، وما يتعوده من سماع العربية الفصحى في برامج الرسوم مقاعد الدرس، وما يكلف به في الصف من قراءة لنص أو جواب عن سؤال أو تلخيص لقصة أو تمثيلاً لمسرحية- كل ذلك يغرس فيه شجاعة التعبير والثقة في النفس والرغبة في التحدث إظهاراً للمقدرة وفرحاً بالنجاح. وكلما تحقق له قدر من النجاح ونال إعجاب أسرته أو زملائه ومعلميه ازداد ثقة وشجاعة وإقبالاً على التحدث والإنشاء. وكلما تكررت منه التجارب صقلت موهبته وازداد رصيده واستحكمت ملكته. وربما بدا له أن يرتجل خطبةً أو قصة أو قصيدةً من إنشائه، فيكون ذلك امتحاناً لموهبته، ووضعاً لها في طريق الصعود.

وأما قراءةً فإن امتلاكه لخصيلة لغوية تتسع عاماً بعد عام، وتعلمه الحروف ثم رسوم الكلمات التي حصلها، وتمكنه من قراءة الكلمات ثم الجمل ثم النصوص القصيرة والمتوسطة، وإقباله على قراءة الأناشيد والقصص والمجلات الموجهة للأطفال، بألوانها الزاهية وأحداثها الشيقة- كل ذلك يربط بينه وبين الكتاب علاقة حميمة شائقة، فإذا حصلت بينه وبين الكتاب ألفة وصدقة، تكفل الكتاب بتعليمه كثيراً من أسرار اللغة وأساليب أدائها للمعاني، وتزويده بكثير من المفردات الجديدة يكتشفها بسياق الكلام، أو يضطره الفضول وحب المعرفة إلى السؤال عن معانيها لدى الأولياء أو البحث عن دلالاتها في المعاجم؛ فينشأ عن ذلك ثروة لغوية تزداد يوماً بعد يوم، ومعرفة بأساليب التعبير تتسع كتاباً بعد كتاب، لينتج في النهاية مهارة في القراءة لا يتعسر معها فهم، ولا يتعثر خلالها تأويل رمز أو تحليل فكرة أو استنباط معنى خبيء؛ بل يحصل معها مرتبة في القراءة تتعدى إدراك المعنى إلى استنباط معنى المعنى، وتتجاوز قراءة الظاهر إلى قراءة ما وراء السطور.

وأما كتابةً فإن امتلاك مهارات الفهم والحديث والقراءة بكثرة السماع والحفظ والمطالعة والممارسة الكلامية كفيلاً بأن بتوفير المادة التي يحولها التفكير المنطقي الذي يتدرب عليه المتعلم بقراءة النصوص وتحليلها، والتشكيل الأسلوبي الذي يعلق بذاكرة المتعلم بطول سماعه للكلام البليغ ومطالعتة لنماذجه الراقية، يحولها إلى عجينة طيبة في يد المتعلم، يصوغ بها ما يشاء من النصوص المعبرة عن حاجاته: رسائل وخواطر ومقالات وقصصاً وبحوثاً، وربما أشعاراً وروايات. الأمر موكولٌ إلى الموهبة الفنية التي يمكن أن يُؤتاها مستعمل اللغة، ولكن هذه الموهبة لن تكتشف ولن تستثمر ما لم يكن صاحب الموهبة قد ألفت المطالعة وتدوق الأدب، وحاول استثمار رصيده اللغوي والأدبي والدوقي في الكتابة مرة بعد مرة. وحتى إذا لم يكن مستعمل اللغة موهوباً القدرة على الإنشاء في بعض الفنون الأدبية الجميلة، فإن الرصيد الذي حصله من طول ممارسته للغة قراءتها لأدبها، سيمكنه من الاقتدار على الكتابة السليمة المحكمة الدقيقة المعبرة بطلاقة ومتانة عن مختلف أغراض القول وأهداف الكتابة.

والأصل في كل ما ذكرناه من أثر أدب الطفل في تنمية المهارات اللغوية هو أن الكلام مهارة أدائية وليس علماً بالقواعد وحفظاً للوحدات اللغوية. إن العلم بالعربية هو غير امتلاك ناصيتها البيانية، أو كما قال ابن خلدون: إن "ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم، والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها وخاصة، فهو علمٌ بكيفية لا نفسُ كيفية." (مقدمة ابن خلدون، ص453).

وليس بالإمكان الاستغناء عن التعليم للعربية في هذا العصر لبعد الهوة بين العامية والفصيحة، ولكن القانون يبقى قائماً، فخير التعليم ما قام على السماع والمطالعة والممارسة لا على حفظ القواعد. وما يتعلمه المتعلم من قواعد اللغة ويحفظه من مفرداتها لا يمكن أن يستقر في مكانه من الذاكرة، وأن يُشكّل خبرة لغوية ومهارة بيانية ما لم يتأيد بالتعامل الحي مع اللغة الحية النابضة. ولا موضع تكون به هذه اللغة الحية أغنى وأجمل وأدق دلالة على أغراضها خير من موضعها في اللغة الأدبية. ولا أحفظ لرصيد المتعلم من مفردات لغته وطرائق تركيبها من الاستمرار في توظيفها سماعاً وحديثاً وقراءة وكتابة. يقول أحمد المعتوق:

"ليس هناك طريقة لبعث الحياة أو الحيوية والنشاط في العناصر اللغوية المكتسبة خير من الممارسة الفعلية الدائمة للكلام بمختلف نشاطاته وأشكاله وأوضاعه الممكنة، واستغلال كل الفرص التي تسمح بها الإمكانيات الفردية الخاصة وظروف الحياة الاجتماعية لتنفيذ هذه الممارسة، فالكلام "هو المادة التي تتكون منها اللغة"، وهو الوسيلة التي تحيا بها اللغة ويتأصل ويستمر وجودها." (أحمد محمد المعتوق، 1996م، الحصيلة اللغوية، ص262).

والممارسة الفعلية للكلام ينبغي ألا تقتصر على وجه معين، ولا يُستغنى فيها بالمسموع عن المرئي ولا بالمرئي عن المقروء؛ فإن لكل نشاط فائدة لا تكون في غيره؛ وإذا كانت فائدة السماع معرفة الأصوات على حقيقتها وصفاتها النطقية السليمة، وتكوين ذائقة سمعية تميز بين الجميل والقيح والرقيق والخشن والسلس والمعقد، ولا يعلم ذلك القراءة البصرية؛ وكانت فائدة السماع المقرون بالمشاهدة كما هو الشأن في الأفلام والبرامج التلفزيونية، بث عوامل التشويق والإثارة ما يجيب إلى الأطفال المتابعة، وتسهيل الربط بين أصوات الكلمات ودلالاتها في عالم الأشياء والأفعال، ما يكسب الأطفال ثروة لغوية ومعرفية، وقدرة على التركيب والاستنتاج وبناء الفكرة وتخمين النتيجة، فإن فائدة القراءة البصرية (قراءة الكتاب) هي ربط الأصوات بالحروف على نحو يرسخها في الذاكرة، ويقي الوقوع في الأخطاء الإملائية، وإدراك معاني الكلمات إدراكاً دقيقاً بمراعاة موقعها في العبارة وسياق الكلام، وتنشيط الذاكرة وتنمية القدرة على التحليل والاستنباط، والتواصل مع المخزون النفسي والاجتماعي والحضاري للكلمة؛ يقول المعتوق:

"وإذا كان للغة المحكية أثرها الكبير في إمداد الفرد بالألفاظ والتراكيب المستخدمة في الحياة العملية الفعلية بمختلف مدلولاتها الوظيفية ومعانيها الانفعالية وإيحاءاتها الصوتية والإيقاعية وتنمية محصوله اللغوي بها، فإن للقراءة أثرها الكبير في تنقية هذا المحصول وتهذيبه وإغناؤه بألفاظ اللغة الانتقائية التي تصلح للتخاطب والتواصل اللغوي بمستواه الفصيح الراقى الذي يحتاج إليه الإنسان المثقف المتحضر (...).

وفي أثناء ممارسة القراءة يكون إنعاش وإنماء المخزون اللغوي مباشراً وسريعاً، إذ إن القارئ يحتاج إلى تفسير ما يمر به من عبارات وألفاظ ملحة لا يتمكن معها من التوقف، لأنه محتاج إلى فهم وإدراك ما يقرأ، وإلى أن تكون المعلومات والمعارف أو المعاني التي يتلقاها مترابطة الأجزاء متكاملة العناصر، وبهذا تكون عملية التنقيب والبحث في الذاكرة عن معاني ومدلولات المفردات اللغوية في فاعلية مستمرة وسريعة، إضافة إلى أن صور الألفاظ والعبارات التي يراها القارئ تعمل أحياناً كحوافز ومثيرات وروابط مؤثرة تساعد على انتشار ما قد ركد أو ترسب من مدلولاتها أو معانيها في قاع الذاكرة." (أحمد محمد المعتوق، 1996م، الحصيلة اللغوية، ص274-275).

كما أن الكتاب هو الكائن الكلامي المادي الأكثر مرونة، والأسهل استعمالاً، والأقدر على مرافقة قارئه إلى حيث يريد؛ ما يعني إن إمكانيات استعماله أوفر وفرص انتشاره أكثر.

وعلى كل، فإن تنمية المهارات اللغوية المختلفة رهْنُ بإكثار السماع والقراءة ومداومتها. وإشاعة أدب الطفل بمستويات راقية مختارة أسلوباً وشكلاً، وطرائق متنوعة مضمونا وأداءً، هو الكفيل بتحقيق هذا الشرط الذي هو سبيل تعلم اللغة وامتلاك ناصيتها. وفيما يلي نماذج من نصوص أدب الطفل، نبين، عملياً، كيف تعمل عملها في تنمية المهارات اللغوية.

4. تحليل نماذج من أدب الطفل

1- نص مدرسي: الصَّغِيرُ الكَبِيرُ

"أنا لسانك الذي تتكلم به، وأذنك التي تسمع بها، وعينك التي ترى بها، وعقلك الذي تفكر به. أنا صديقك في صديقك، ومصباحك السحري الذي إذا أضاءه يقول لك: لبيك، لبيك، أنا بين يديك. أنا جهاز صغير، تحملي بين يديك، وتضعني في جيبك، وتعلقني بحزام سروالك. البعض يسميني نقالاً، لأنني أنقل الكلام من هذا إلى ذاك، والبعض يسميني محمولا لأنه يحملي معه، لا أفرقه لحظة كأنني صديقه أو ظله.

إنني جهاز صغير الحجم، لكن عقلي كبير، كبير جداً. بفضلني نستطيع أن نرسل المكالمات ونتلقاها، ونستطيع أن تلعب ألعاباً كثيرة، ونشاهد رسوماً متحركة ونسمع موسيقى عذبة.

- هل أستطيع أن ألتقط صوراً بك؟ وهل يمكن أن أشاهد من يكلمني على شاشتك؟
- طبعاً نستطيع أن نلتقط صوراً ملونة ونشاهد من يكلمك.
- هل يمكن أن أحرز أرقام أصدقائي وأسماءهم؟
- كيف لا؟ يمكن أن تخرز أرقام أصدقائك وأسماءهم. ونستطيع أيضاً أن تجعلني ساعتك المنبهة وحاسبتك في العمليات الصعبة. هل تريد أن نعرف شيئا آخر عني؟
- و هل عندك أكثر من هذا؟

- إذا، اسمعني الآن جيداً:
سقطت كومة من الثلج في فصل الشتاء الماضي على جماعة من المنزحليين، فبقوا في أحد الكهوف ساعات طويلة إلى أن حضر العمال بفؤوسهم وأزاحوا عنهم الثلج وأخرجوهم، لأن أحد المنزحليين استعملني ونادى العمال. ألا ترى أنني مهم ومفيد؟
لكن اسمعني جيداً وأفهمني: لا تستعملني كثيراً، لأن أشعتي ستؤذي أذنك ويديك الصغيرتين. ولأنني أكلفك مصروفاً كثيراً. فلا تستعملني إذن إلا عند الضرورة. ولا تشغلي أثناء الدرس لأن ذلك يزعج معلمتك وزملاءك ويؤش عليك دروسك، ولا تشغلي في أوقات النوم وساعات الراحة. ولا تشغلي في أوقات المراجعة والامتحانات لأن ذلك يضيع وقتك ووقت أصدقائك. فإذا وعدتني بذلك كنت صديقك الحميم، ومرافقك الأمين." (وزارة التربية الوطنية-الجزائر، 2005م، كتابي في اللغة العربية، ص162-162).

هذا النموذج ممتاز لنص أدبي مدرسي موجه لتلاميذ السنة الثالثة من التعليم الابتدائي في الجزائر. وهو مأخوذ، بتصرف، من مجلة "العربي الصغير" الصادرة في الكويت سليلة لمجلة "العربي" الثقافية العريقة.

وقد وفق المشرفون على هذا الكتاب المدرسي في اختياره أيما توفيق؛ إذ يستجيب لمعايير المناسبة لهذه المرحلة من عمر الطفل (السنة الثامنة) مضمونياً وأسلوبياً وفكرياً، إذ جاء قريب الموضوع من عالم الطفل المعاصر حيث انتشر استعمال الهاتف المحمول وسيلة للتواصل، حتى لم يعد يخلو منه بيت إلا في النادر؛ وجاءت لغته بسيطة متداولة قريبة من متناول طفل الثامنة، لاسيما إذا كان ممن تعودوا سماع العربية الفصحى في برامج التلفزيون التي تبث رسوماً وأفلاماً وقصصاً وألعاباً للأطفال. وجاء أسلوبه سلساً مسترسلاً، قصير الجمل، متوازن العبارات، خفيف الإيقاع، تنبعث من أطرافه موسيقى خفية عذبة على خلوها من تكلف الأسجاع والجناسات، كما جاء خالياً مما يعوق حركة الفهم من المجازات الغامضة والعبارات الصعبة، ومحتلياً ببعض المثبرات الأسلوبية المشوقة الممتعة؛ كوصف

الهاتف المحمول بالصغير الكبير وما يتضمنه ذلك من المفارقة الحاملة على التعجب والتساؤل، وكتشخيص هذا الجهاز المصنوع وتصويره كأننا حيا يُعبّر عن نفسه، ويدافع عن أهميته، ويُحاور الطفل بشأن منافعهِ وبعض مضارّه، وكتوظيف قدر بسيط من الحكمة القصصية فيها وصفٌ وحوارٌ وأحداثٌ وعقدةٌ وحلٌّ لعقدة. وجاءت أفكاره واقعيةً، معرفيةً، أخلاقيةً، تعلّم الطفل تقديرَ وسائل عصره، وتحديدَ وجوه الاستفادة منها، وتوجيه استثمارها في ما يعود على الكائن الاجتماعي بالنفع لا بالمضرة. لا يتسع المقام للإفاضة في تحليل هذا النص الأدبي الطفلي، لكشف كيفية إسهامه في تنمية مهارات الطفل اللغوية؛ ولكن بالإمكان الإشارة إلى جملة من المكاسب اللغوية والذوقية يخرج بها الطفل من قراءة هذا النص:

1-تعلّم الخصائص التركيبية للغة العربية؛ إذ النص مصوغٌ بلغة عربية أصيلة راقية، دقيقة دلالاتٍ ألفاظها، رقيقة تناغم أصواتها، متينة تلاحم عباراتها، ليس فيها طولٌ فاحش، ولا انتقال مفاجئ، ولا رتابة أسلوب. ويكفي أن تتأمل مطلع النص: "أنا لسانك الذي تتكلّم به، وأذنك التي تسمعُ بها، وعينك التي ترى بها، وعقلك الذي تُفكّرُ به. أنا صديقك في ضيقك، ومصباحك السحري الذي إذا أضاءته يقول لك: لبيك، لبيك، أنا بين يديك." وتنتظر توازن العبارات، وتجاوب الأنغام، وحسن التقسيم، واستيفاء المعنى، وتنويع العبارة، ثم تتذكر ما ورد في الحديث القدسي المعروف: ((فإذا أحببتَه صرتُ سمعَه الذي يسمعُ به، وبصرَه الذي يبصرُ به، ويده التي يبطشُ بها، ورجله التي يمشي عليها))، والعبارة التراثية السحرية المعروفة المحببة إلى خيال الأطفال: "لبيك، لبيك، أنا بين يديك."، لتعرف أن النص يمتح من معين العربية البديع الصافي، وأن الطفل إذا عود سمعَه شبيه هذه النصوص الجميلة كان حريا أن يغنم لغةً عربية أصيلة، -غير هذه العربية الهجينة السقيمة التي نسمعها في المنابر والمجالس، ونقرؤها في الجرائد وفي أكثر ما يؤلف في مختلف الحقول الثقافية ومنها حقل الثقافة الأدبية-، يطرب لها إذا سمعها، ويقدر عليها إذا أراد الكتابة، وتحضر في ذاكرته قولها إذا ارتجل الحديث.

2-تشكّل ذائقة إيقاعية بلاغية؛ إذ النص على قدر وافٍ من رشاقة الإيقاع، وسلاسة العبارة، ومتانة البناء. وإيقاعه ليس من النمط المتكفّف الرتيب، وعبارته ليست من النمط الذي يوجّه فيه اللفظ المعنى، بل هي العفوية المُتقنة التي يحسن أن نربي عليها الأذواق. يكفي أن نقرأ: "أنا جهازٌ صغيرٌ، تحمّلني بين يديك، وتضعني في جيبك، وتعلّقني بحزام سبروالك. البعض يُسميني نقالا، لأنني أنقلُ الكلام من هذا إلى ذاك، والبعض يُسميني محمولا لأنه يحمّلني معه، لا أفارقه لحظةً كأنني صديقُه أو ظلّه." ثم نقرأ الفقرة الأخيرة حيث يوجّه الهاتف المحمول نصائحه للطفل، لنذكر أن هذا النص يعلم نمطا من البلاغة قريبا مما يُسميه النقاد "السهل الممتنع"، ويغرس في الذوق نمطا من الإيقاع هو إيقاع اللغة العربية المبيّنة المُطربة.

3-إضافة كلمات جديدة إلى الحصيلة اللغوية، تُفهم معانيها من سياق الكلام، أو يشرحها المعلم بعد أن يُكلف التلاميذ محاولة استنباط معانيها؛ ومن هذه الكلمات: "تُرسل" و"تتلقّى" و"كومة" و"أزاحوا" و"تؤذي" و"الحميم". وهي تتفاوت في مقدار الصعوبة بحسب ما للطفل من رصيد لغوي حين قراءة النص، وبحسب ما له من ذكاء وقدرة على الاسترشاد بالسياق لفهم المعنى. وعلى كل، فهي إضافة تُغني الرصيد، وتزيد من قدرة الطفل على فهم نصوص أخرى وعلى التعبير عن بعض أغراضه، وتشجعه على قراءة نصوص أخرى لما غنمه من مفاتيح تيسر له فهم عباراتها. وهو مكسبٌ ثمينٌ يسهم كلما اتسع في بناء شخصية الفرد اللغوية، وتترك فيها أثارا نفسية طيبة، "تتمثل في انفتاح الشخصية على ما يحيط بها ونمو غريزة الاجتماع لديها ومن ثم نمو روح الألفة والجرأة الأدبية والثقة بالنفس." (أحمد محمد المعتوق، 1996م، الحصيلة اللغوية، ص60).

4-تشكّل الوعي الفكري بكيفية صياغة المفردة اللغوية ووضع المصطلح، والانتباه إلى طريقة العربية في الاشتقاق للتعبير عن المعاني المختلفة وتسمية الوسائل العصرية؛ فقد أوضح مؤلف النص الصلة

المعنوية بين تسمية هذا الجهاز نقلاً وقيامه بفعل نقل الكلام بين الناس، أو تسميته محمولاً وكونه يُحمَل مع صاحبه حيثما شاء. كما ذكر المؤلف مصطلح "الحاسبة". وبغض النظر عن مدى صحة تسمية الهاتف المحمول نقلاً -لأن الثابت نقلاً كذلك- فإن هذا الربط بين صيغ الكلمات ودلالاتها كفيلاً أن يُشغَل في ذهن الطفل ملكة التفكير اللغوي المنطقي الذي يُدرك أن علاقة المفردات العربية وصيغها الصرفية بدلالاتها العادية أو الاصطلاحية ليست علاقة اعتباطية عشوائية.

5- نمو القدرة على البناء والتركيب، والإدراك لمعايير كتابة نص أدبي (نثري-سردي) ناجح متماسك. وذلك حين ينتبه الطفل إلى العنوان ودلالته على الموضوع، وإلى أجزاء النص وكيف تبتدئ بمطلع يقدم فيه بطل القصة (الهاتف المحمول) نفسه، ثم يسترسل البطل في الحديث عن فضائله ومزاياه -وهو صلب الموضوع- مستثمراً أسلوب الحوار حيناً والقص أخرى، ثم ينتهي بجملته نصائح في حسن استثمار الهاتف المحمول، هي بمثابة الخاتمة للنص. فلا شك أن الطفل يتعلم بمثل هذه النصوص كيف يبني ويركب، وكيف يختار لحديثه مطعماً وأسلوباً في العرض وخاتمة مناسبة. وهي ركائز مهمة في كل عمل إنشائي تألّفي.

ولا يفوتني أن أنبه على الحيوية والعموية والسلاسة التي يمكن أن يشعر بها الطفل في قول الكاتب: "إنني جهاز صغير الحجم، لكنّ عقلي كبير، كبير جداً." لاسيما التأكيد اللفظي في ختام العبارة. وأن أنبه على أن النص، على رقي لغته ونقاوتها، وقع في خطأ شائع لا يكاد يلتفت إليه الآن إلا المتخصصون في التصحيح اللغوي؛ وهو قوله: "البعض يُسميني نقلاً"، إذ "البعض" لا يرد في العربية الأصلية إلا نكرةً (ينظر: ناصر لوحيشي، 2010م، صحح لغتك، ص116)، والصحيح أن يُقال: "بعض الناس يسميني نقلاً". كما أنبه على أن مؤلفي الكتاب المدرسي قد شرحوا "أزاحوا" بـ"نزعوا"؛ وهو شرح يفتقر إلى الدقة، إذ الإزاحة هي الإزالة والإبعاد وليست النزع. وتكمن خطورة هذه الأخطاء، لاسيما حينما تكثر وتكرر، في أن الطفل إذا تعلمها في صغره معتقداً صحتها نُفِثت في ذاكرته نقشاً يتعسر بعدها علاجه. وفلسفتنا في هذا البحث من مبادئها أن الوقاية خير من العلاج، وأن تنشئة الطفل على اللغة الصحيحة والأسلوب الرصين أجدى وأوفر للجهد من الاجتهاد في معالجة الفاسد وتقويم المعوج.

2- قصيدة قصصية: الحمامة والثعلب ومالك الحزين

جميلة مَرْوَقَةٌ	حَمَامَةٌ مُطَوَّقَةٌ
أمنةٌ مُسْتَبْرَةٌ	كانت بأعلى شَجَرَةٍ
وبالوعيدُ يَصْحَبُ	وكان يأتي ثَعْلَبٌ
ثم تعيشُ نارها	تُلقي لها صِغارها
لمالك الحزين	شكَّته في أنين
مُفِيدَةٌ صَحِيحَةٌ	أسدى لها نصيحة
وبالصغار طامع	وجاءها المُخادِعُ
وإن صعدتْ أفلح	قالت له لا أُخدعُ
واضحة صدوقة	فصادفَ الحقيقة
لكي يكون الهالكا	وراح يبغي مالكا
إن حاصرته الریح	وقال يا مَلِيحُ
وأين تُخفي راسكا	فكَيْفَ تُحمي نفسكا
فدقَّ عُنق الطائر	وحانَ وَفَت الماكِرُ
بالنصح أنت أخلق	قال له يا أَحْمَقُ

(صلاح يوسف عبد القادر، 1998م، أغاريد الجنة من حكايات كليلة ودمنة، ج2، ص4)

يجمع هذا النص بين جنسين أدبيين هما الشعرُ والقصة. وهذان الفنان هما خيرُ ما يقدم للأطفال من أعمال أدبية خلال مراحل الطفولة الأولى. فهما يجمعان مزايا التشكيل اللغوي المحبب لدى عالم الطفولة البريء المنفتح على مشاهد الجمال القريب، والخيال الطريف، المتطّلع إلى معرفة الأسرار ومطالعة النوادر. ويتعلق الأمر بالعبارة الرشيقة العذبة، والإيقاع المطرب الراقص، والبناء المتدرج المتلاحم، والحوار السلس المتفاعل، والحركة القصصية المشوقة المثيرة، والنهاية المفاجئة الطريفة المتضمنة حكمة مفيدة. فكل هذا جمعه هذه القطعة الشعرية القصصية التي وظفت الحكايات القصصية الخالدة في كليلة ودمنة، وأحسنّت إعادة تشكيلها شعرا رفيقا رشيقا، حسن العبارة، لطيف الإشارة، تزوج فيه القافية، ويسلس الوزن، وتسهل المعاني، وتتفاعل الحركات، ويلوح بين الحين والحين عبارةً مجازية لا تعوق حركة الفهم، أو كلمة غريبة يغنم بشرحها الطفل مفردةً جديدةً يغذي بها حصيلته اللغوية.

وهذا اللون من الشعر القصصي الرشيح الإيقاع، القصير الطول، يستحق أن يُحفظ ويُنشد ويُترنم به. وحين ذلك سيكون كسب الطفل وفيرا بتنمية رصيده اللغوي، وإرهاف حسه الذوقي الجمالي، واكتشافه الخاصة الوزنية النغمية للشعر، والخاصية الحركية والحوارية للقصة، وخاصية التعبير المجازي في بعض التراكيب اللغوية، وانعراس حب المطالعة والإنشاد في قلبه، وتمرنه على مهارات الفهم والتذوق والاستنتاج والتفكير المنطقي السليم.

ولتأييد هذا الكلام ببعض الشواهد من القصيدة، نذكر عددا من الكلمات يضيفها الطفل إلى رصيده اللغوي، وهي "مطوّقة" و"مستيرة" و"الوعيد" و"بصخب"، و"الماكر" و"أحمق" و"أخلق"، من بعد أن يشرحها له الولي أو المعلم. ونذكر العبارة المجازية الجميلة في قوله:

تُلقي له صغارها ثم تعيش نارها

حيث التعبير عن الألم الذي يحصل في القلب لفراق الصغار بالنار التي تحرق. وليس بعيدا عن الطفل أن يهتدي إلى هذا المعنى بنفسه، وإلا فإنه يُرشد إليه فيتعلّم كيف تكون لغة المجاز، وكيف تؤدي الغرض بأقوى عبارة.

ولا شك أن التعبير الشعري يُجوج فيه الوزن إلى كثير من التغييرات التركيبية المفارقة للغة النثر، من تقديم وتأخير وحذف وإشباع وتحريك وتسكين، فذلك مما يهيئ الطفل لمعرفة أوفى بخصائص العبارة العربية، ومرورتها ووفرة إمكانات تشكيلها، ولترسيخ صيغها وتراكيبها وقوالها في ذاكرته السمعية والدلالية والبنائية. وذلك هو الأثر الكبير الذي يمكن أن يحدثه تفعيل دور أدب الطفل في حياة الأطفال في تنمية المهارات وبناء الشخصية اللغوية.

وقد عرضنا مثالين فقط، لضيق المقام. ويجدر التنبيه على أن الفنون الأدبية الموجهة للطفل كثيرة، وأن القصة الطويلة قد تكون أقدر هذه الفنون على تغذية وجدان الطفل وإشباع فضوله المعرفي وإمتاع خياله، وعلى إمداده بالثروة اللغوية والخبرة التعبيرية والفنية، وعلى صقل حاسته الذوقية ومواهبه اللغوية. علاوة على أن تعود الطفل الاستغراق في قراءة قصة طويلة هو خير ممرن له على مطالعة الكتب المفيدة التي تقدم المعرفة ولو بغير الأسلوب الأدبي الممتع المُشوّق. ومجرد عقد علاقة صداقة بين الطفل والكتاب هو إنجاز عظيم، سيضمن، بلا شك، بناء سليم للشخصية اللغوية.

5. أدب الطفل في البلاد العربية: الواقع والمأمول

واقع أدب الطفل في البلاد العربية واقع غير مُرضٍ إن لم يكن مرّضيا. لقد أخذ الاهتمام بأدب الطفل يتزايد في البلاد العربية عاما بعد عام؛ بظهور كتاب مختصين في العناية بفنون معينة من أدب الطفل، وانتشار كتب في التنظير لهذا الأدب وتقويم مسيرته وتوجيه مساره، وتخصيص برامج إذاعية وتلفزيونية

للأطفال ألعاباً ورسوماً وأفلاماً ومسابقات ونشاطات علمية أو ترفيهية، بل ظهور قنوات فضائية موجهة للأطفال منوعة بين ترفيهية غنائية، وثقافية وتربوية، ومتخصصة في الرسوم الكرتونية والأفلام الخيالية والأسطورية والاجتماعية والبوليسية وغيرها؛ ومع ذلك فإن الواقع الثقافي والعلمي والتربوي العام في البلدان العربية يلقي بظلاله الداكنة على واقع أدب الطفل فيها، ويحول حيلولة قاسية دون شيوعه وتفعيل دوره للإسهام في النهوض بالعربية، وصب دم جديد صافٍ في عروقها الناضبة، وإعداد جيل جديد يحب العربية، ويتذوقها، ويتقنها، ويعتز بها، ويحلو له أن يتكلم بها ويبدع ويؤلف وينشر، دونما عجز، ولا فتور، ولا خجل، ولا مركب نقص.

وأبرز مظاهر هذا الواقع الثقافي المتردي اتساع الهوة بين العامية والفصحى في أكثر البلاد العربية، وانحصار استعمال العربية في التعليم لحساب لغات أجنبية قوية، وقلة اهتمام العربي عموماً بالقراءة والكتابة، وشيوع الفساد والارتجال وعدم المبالاة في المؤسسات السياسية والإدارية القائمة على شؤون التعليم والتربية والثقافة.

ويمكن أن نلخص واقع أدب الطفل في البلاد العربية في المظاهر الآتية:
1- تضافر شيوع الأمية مع ندرة الإقبال على المطالعة والوعي بأهمية القراءة، في تشكيل واقع أسري لا يهتم فيه الأولياء بعالم الكتب، ولا يباليون باقتنائها لأولادهم وتشجيعهم على قراءتها.

2- قلة اهتمام المدارس ذاتها باقتناء مكتبة خاصة بأدب الطفل، ورسم خطة لتحفيز التلاميذ على القراءة.

3- نقص الكفاية اللغوية والعلمية والتعليمية للمعلمين، ما يحول دون قدرتهم على تقديم النموذج للعربية الفصيحة العالية، وعلى تعليم النمط الصحيح، ناهيك عن العالي، من العربية، وعلى توظيف أدب الطفل في تنمية المهارات اللغوية.

4- قلة النشاطات الثقافية المصاحبة للمهمة التعليمية، بسبب قلة الوعي بأهميتها التربوية، وبسبب إرهاق التلاميذ بمقررات علمية كثيرة، ليست ضرورية، ما يحصر عمل المدرسة في رتابة التلقين دون حيوية الممارسة والاكتشاف.

5- غياب المتابعة لنشاط الطفل داخل البيت؛ فأكثر الأولياء لا يباليون بما يفعل أطفالهم خارج البيت إذا خرجوا للعب، ولا داخل البيت إذا انهمكوا في متابعة التلفزيون أو اللعب على الحاسوب. وقد تكون برامج الرسوم التي يُعزَم بها الأطفال، عادةً، ما يُعين على تعلم العربية الفصحى، وتعويد الأذن واللسان عليها، غير أن الإقبال عليها دون توجيه يقلل من فائدتها، ويجعلها سبباً في عزوف الطفل عن المطالعة، وكسله عن بذل الجهد، وإيثاره التلقي السلبي بدل التفاعل الإيجابي.

6- كثيرٌ من القنوات الفضائية الموجهة للأطفال لا يقف وراءها متخصصون أكفاء، يُحسنون اختيار المادة المناسبة للطفل، ولا مسئولون غيرون على الهوية، يحرصون على بناء جيل قوي يُسهِم في إعادة بناء الحضارة العربية الإسلامية؛ لذلك لا يباليون بمستوى اللغة التي يُتكلَّم بها في برامج قنواتهم، بل لا يأبهون بخطر مخاطبة الأطفال باللغات الدارجة لا العربية الفصيحة. وخير مثال على ذلك قناة "طيور الجنة"، التي تُغرق الأطفال في عالم المرح والغناء، وتُغرق أذانهم في معجم اللهجة المصرية أو الأردنية. وكان بإمكانها، حتى وهي تختار ثقافة المرح والغناء، أن تستغل شدة إقبال الأطفال عليها، لترسخ في أسماعهم وذاكرتهم ألفاظ العربية الفصيحة وقولها وتراكيبها.

7- قلة عناية دور النشر بكتب أدب الطفل، كمّاً ونوعاً، إخراجاً وسعراً؛ ما يحول دون انجذاب الأطفال إليها، وضعف قدرتهم على اقتنائها.

8- شيوع الضعف اللغوي والقصور الإبداعي فيمن يتصدون للكتابة للطفل دون موهبة كافية، ولا خبرة بأصول الفن وإحاطة بقواعد العربية. وينجم عن ذلك أضرار فادحة؛ لأن الطفل يعتقد الصحة في كل ما يسمعه من معلم أو يقرؤه في كتاب، فإذا شاعت الأخطاء اللغوية، ناهيك عن الطباعية، والركاكة الأسلوبية، في كتب أدب الطفل، فعلى العربية الأصيلة الجميلة ألف سلام!

9- غلبة الغاية الترفيهية مع استغلالها لأغراض تجارية- على برامج القنوات الفضائية وأجهزة الحاسوب والانترنت، الموجهة للأطفال؛ ما يقلل من الاهتمام بالتنمية اللغوية والثقافية للطفل، ويُغرق الطفل في عالم اللعب والمغامرات الافتراضية، فيعوده ذلك الكسل الفكري من جهة، والانعزال عن التواصل الاجتماعي من جهة أخرى. وغير خاف أن إقبال قطاع كبير من الأطفال على مشاهدة برامج الأطفال في التلفزيون أو على شبكة الانترنت أو برامج الألعاب الحاسوبية، يشكل خطيراً كبيراً على طاقات الطفل العصبية والفكرية والإبداعية ومواهبه اللغوية والاجتماعية. يقول المعتوق: "إن إدمان مشاهدة التلفزيون يولد لدى المشاهد عامة ولدى الطفل الناشئ بنحو خاص نوعاً منى السلبية واللامبالاة بمجريات الأمور من حوله وينسيه كثيراً من التزاماته ومسؤولياته. كما أن جلوسه فترة طويلة أمام شاشة التلفزيون يولد لديه الخمول والكسل وعدم الميل إلى الحركة وإلى ممارسة التمارين الرياضية، وقد يؤدي ذلك إلى فقدانه للياقته البدنية وإلى تعرضه لأضرار نفسية وجسدية وعقلية أيضاً، وربما تؤثر هذه الأضرار بدورها في علاقاته الاجتماعية فتقلل من رغبته في الاتصال بالآخرين. لذلك تحرمه مما قد يكتسب من خلال هذا الاتصال من مهارات لغوية." (أحمد محمد المعتوق، 1996م، الحصيلة اللغوية، ص99).

10- شيوع اللغة البسيطة المبتذلة أو الركيكة، واللهجات الدارجة أحياناً، في جل برامج القنوات الفضائية والبرامج الحاسوبية، لضعف الملكة اللغوية لدى جل من يقدمون هذه البرامج، وقلة الاهتمام أصلاً بغاية البناء المحكم لشخصية الطفل اللغوية. فإذا علمنا مقدار ما تحققه وسائل الاتصال الحديثة من الانتشار ومقدار إقبال الكبار والصغار عليها، أدركنا مقدار الخطر على سلامة تعلمنا العربية وبناء شخصيتنا اللغوية. يقول المعتوق:

"تتسرب عبر التلفزيون أو (الراديو) في كثير من الأحيان ألفاظ وعبارات وتراكيب لغوية غير سليمة في نطقها أو غير صحيحة في تركيبها وصياغتها، وتختلط بمفردات اللغة، ويلتقطها أفراد الجمهور دون وعي منهم، وتشيع بينهم دون إدراك لعدم صلاحها أو سلامتها. ويحدث ذلك في العادة لسوء ترجمة بعض البرامج الإذاعية والتلفزيونية العربية، أو لتأثر بعض المذيعين بلغة أجنبية معينة أو بأخرى أو نتيجة لعدم وجود الكفاءة اللغوية لدى بعض آخر منهم، أو لعدم تلقي هؤلاء المذيعين عامة التدريب الكافي وعدم اهتمامهم باللغة على النحو المطلوب. ومهما كانت أسباب هذه الظاهرة فإن لها بلا شك نتائج سلبية خطيرة على اللغة وعلى مستخدمي هذه اللغة، ولاسيما الناشئة منهم." (أحمد محمد المعتوق، 1996م، الحصيلة اللغوية، ص97).

ولا شك أن شيوع الأخطاء اللغوية والإملائية والأساليب الركيكة، في كتابات الأجيال الحاضرة، يُعزى كثيراً منه إلى تأثير ما تُذيعه وسائل الإعلام المختلفة من جرائد وإذاعة وتلفزيون وحاسوب.

إن واقعا هذه مظاهره ومخاطره على بناء الشخصية اللغوية هو واقع لا يبشر بخير، ولا يفتح أفقا مطمئناً للأمل في غدٍ طيب لمستقبل اللغة العربية. إن الإقبال على القراءة ضعيف جداً لدى الكبار

والصغار على حد سواء، وإن الوسائل التعليمية والتثقيفية البديلة عن القراءة لا تؤدي دورها في تنمية مهارات اللغة على النحو المناسب، بل ربما أسهمت في إشاعة الركافة من جهة، والكسل الفكري من جهة أخرى، وشغلت الصغار والكبار عن المطالعة الجادة النافعة.

إننا مضطرون للحديث بلغة يغلب عليها نبرة اليأس دون أن نستسلم لليأس. إن علينا أن نصف الداء ونحذر من استفحاله، ونقترح الدواء ولو ظهر في وقتنا الراهن عزيز المنال. وهو عزيز المنال لأنه غير مرهون بجهود الأفراد بل بجهود المؤسسات. ولأن المؤسسات المسئولة عن واقعنا التعليمي والتربوي والثقافي في بلادنا العربية هي جزء من المنظومة السياسية والإدارية والاقتصادية والفكرية والأخلاقية العامة التي يشوبها الفساد والارتجال وتغليب الولاء على الكفاءة في شغل المناصب المختلفة ذات التأثير في بناء الوجه الحضاري للأمم، كما يشوبها الانشغال عن المصالح الكبرى للأمم بالمصالح الشخصية أو الفئوية المحدودة، وبرودة الإحساس القومي وقلة الغيرة على الثوابت القومية والمكاسب الحضارية.

ومع ذلك، فإن ما لا يُدرَك كلّه لا يُترَك جُلّه. وعليه أقدم هذه الاقتراحات والتوصيات، عسى أن يستجيب لها من يعنيه شأن مستقبل اللغة العربية، ومن يمتلك مقدارا من الحب لها والغيرة عليها والاعتزاز بالانتماء إليها:

1- الأسرة: على أولياء الأطفال أن يولوا بناء شخصية أطفالهم اللغوية مزيد اهتمام؛ وذلك بتحفيظهم قديرا من القرآن الكريم، واقتناء الكتب المناسبة لأعمارهم وتشجيعهم على قراءتها، وتوجيه مشاهداتهم لبرامج التلفزيون والحاسوب بما لا يحول دون انشغالهم عن المطالعة وعن المخالطة وعن أداء الواجبات التعليمية والاجتماعية، وحضور بعض هذه المشاهدات قصد التصويب والتوجيه وتفسير الغامض من الألفاظ والعبارات والأفكار.

إننا لنعرف أساتذة متخصصين في العربية وآدابها، وربما حاضروا في الندوات والمؤتمرات يقترحون سبل العلاج لأزمتنا اللغوية، ولكنهم لا يأبهون بأطفالهم ماذا فعلوا في يومهم وهل طالعوا؟ وماذا شاهدوا في التلفزيون أو الحاسوب وهل استفادوا؟ ولو كثر عدد الأسر التي تأبه بهذا الواجب التربوي لكان في ذلك خطوة معتبرة في طريق الحل.

2- المدرسة: على المسؤولين عن توظيف المعلمين عامة، ومعلمي اللغة العربية خاصة، أن يكون التوظيف على أساس معايير علمية وتربوية سليمة ودقيقة، أهمها سلامة لغة المعلم الشفوية والكتابية، وقدرته على الإبانة، وموهبته في التنشيط والتوجيه والمعاملة. وعلى المدرسة أن تغلب، في طريقة التدريس، معالجة النصوص وممارسة التعبير على تحفيظ القواعد وتلقين المعارف. وأن تقتني مكتبة خاصة بأدب الطفل وما يخصه من معاجم وقواميس وكتب علمية أو ثقافية مناسبة للمرحلة العمرية، وأن تُهيأ الفرص والمناسبات لتمكين التلاميذ من الممارسة اللغوية، بالمسابقات والمسرحيات والنشاطات الثقافية.

3- دور النشر: على دور النشر أن تُضيف إلى غايتها التجارية من نشر كتاب الطفل أهدافا تربوية وحضارية، فتُعنى بقيمة الكتاب العلمية وسلامته اللغوية ومكانته الأدبية وصورته الطباعية؛ بأن تختار لها مدققا لغويا أو خبيرا أدبيا وفنيا يُغربل ما يصل إلى دار النشر من الأعمال، فيصحح ما يستحق التصحيح من الأخطاء، ويرفض من الأعمال ما لا يرتقي إلى مستوى النشر. ويُراعي معايير الجودة في كتاب الطفل من حيث اللغة والأسلوب والموضوع والخط واللون والصورة.

4-المجلات الموجهة للطفل: ينبغي أن يُوفر للأطفال فرصاً أكثر للمطالعة والتعلق بالكتاب والمعرفة. والمجلات الخاصة بالطفل وسيلة مناسبة لتحقيق هذه الغاية، لأنها تُشعر الطفل بأهميته واستقلاله، وأن المطالعة وطلب المعرفة ليس حكراً على الكبار. فإذا وجد في المجلة ما يجذبه ويغريه تعلق بها وأدمن عليها، فكانت وسيلة ترفيه وتعليم وتثقيف وتواصل في الوقت ذاته. والمجلات الموجهة للطفل في عالمنا العربي اليوم قليلة جداً؛ فماذا لو كان لكل بلد مجلة للطفل واحدة على الأقل؟

5-الهيئات الثقافية: في وسع الهيئات الثقافية أن تُعنى بترقية مستوى ما يُكتب للأطفال، ومقدار ما يُفتح من فرص لممارسة الأطفال أنفسهم نشاطات لغوية أدبية. وذلك بإقامة مسابقات وجوائز للكتب المتخصصة في أدب الطفل، تُختار منها الأعمال الجيدة الفائزة بمعايير موضوعية، لتنتشر على أوسع نطاق، خاصة في المكتبات المدرسية. وإقامة مسابقات وجوائز للأطفال أنفسهم ليستعرضوا ملكاتهم في التعبير الشفوي والكتابي والأدبي، وفي تخيص الكتب وحفظ النصوص وما إلى ذلك.

6-وسائل الإعلام: يجدر بوسائل الإعلام ذات التأثير الكبير والانتشار الواسع أن تستثمر هذه المزية في خدمة اللغة العربية، وذلك بتجنب مخاطبة الطفل بلهجته المحلية، و"زيادة عدد البرامج العلمية أو الثقافية التي تقدم باللغة الفصحى (...). على أن يقدم وينفذ هذه البرامج كلها أناسٌ متمكنون، أي ممن يمتلكون ثقافة لغوية وافية ويتميزون بطلاقة تعبيرية جيدة، ونطق سليم، وأصوات رخيمة ملائمة، فذلك له أثر كبير على جذب المشاهدين والمستمعين صغاراً وكباراً وشدهم إلى هذه البرامج ونقل مفردات اللغة إليهم على الوجه السليم وتشجيعهم بطريق مباشر وغير مباشر على التقاط نسبة كبيرة من المفردات بنطقها السليم ومعانيها الصحيحة." (أحمد محمد المعتوق، 1996م، الحصيلة اللغوية، ص102-103).

7-ملاحقة ما شاع من الأخطاء اللغوية والإملائية بالتنبيه والتصحيح والتقويم، على مستوى الكتب المتخصصة، ومستوى وسائل الإعلام المختلفة من جرائد ومجلات وبرامج تلفزيونية، وحتى لوحات الإشهار. في حملة كبرى لتنظيف اللغة وتصحيح المسار وتحسيس الصغار والكبار بقيمة لغتهم وضرورة الحفاظ عليها والارتقاء بمستوى أدائها والتحكم فيها.

وليس تصحيح الأخطاء من صميم فلسفتنا في هذا البحث على كل حال، وإنما هو من باب تنقية الواقع وتهيئة الجو. أما صميم أطروحتنا فهو أن إشاعة أدب الطفل في مجتمعاتنا العربية، وتفعيل دوره في تنمية المهارات اللغوية، هو من أقوم الطرق إلى بناء شخصيتنا اللغوية، وتقوية الشعور بالانتماء الحضاري والاعتزاز باللغة العربية؛ لأن الأدب هو اللغة الجميلة الراقية في حال ممارسة وظيفتها الحيوية، ولأن اللغة تُكتسب بالاستعمال والممارسة لا بحفظ المفردات وتعلم القواعد. ولأن مرحلة الطفولة هي المرحلة الأنسب لتعلم اللغة واستيعاب صيغها وقوابلها وأساليبها بسهولة ومرونة. ولأن تحري الاستقامة أولى وأسهل من معالجة الاعوجاج. وقد بينا دور أدب الطفل في تنمية المهارات اللغوية، وحاولنا التذليل العملي على ذلك بتحليل موجز لبعض النماذج. وعرضنا واقع أدب الطفل في البلاد العربية وكشفنا أنه دون المأمول، واقترحنا ما لعله يقربنا من المأمول. فعسى أن تتحرك الهمم للإصلاح، وعلى الله قصد السبيل.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية؛ أهميتها- مصادرها- وسائل تنميتها، سلسلة عالم المعرفة، 212، الكويت، ربيع الأول 1417هـ-أغسطس/آب 1996م.
- 2- أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1411هـ-1991م.
- 3- ابن خلدون (عبد الرحمن)، مقدمة ابن خلدون، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م.
- 4- صلاح يوسف عبد القادر، أغاريد الجنة من حكايات كليلة ودمنة، دار الأمل، تيزي وزو- الجزائر، 1998م.
- 5- محمد حسن بريغش، أدب الأطفال أهميته وسماته، مؤسسة الرسالة، ط2، 1416هـ-1996م.
- 6- ناصر لوحيشي، صحّ لغتك، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف-الجزائر، 2010م.
- 7- وزارة التربية الوطنية، كتابي في اللغة العربية (للسنة الثالثة من التعليم الابتدائي)، الجزائر، 2005م.

8-الموقع الشابكي: صوت العربية

http://www.voiceofarabic.net/index.php?option=com_content&view=article&id=251:252&catid=43:2008-06-07-10-17-59&Itemid=391